

أحمد باشا المنشاوي



أحمد باشا المنشاوي بن أحمد أغا المنشاوي بن الجوهري المنشاوي، ولد في أسرة ثرية عام 1250هـ في رواية أخرى 1256 هـ، زعيم طنطا الوطني ومن كبار أعيان الغربية

بل من كبار أعيان القطر المصري كله، عاش في قصره بقرية القرشية التابعة لمركز السنطة.

ومن القابه أمير الغربية وبطل القرشية والمحسن الكبير وأبو الاسكندرية، وصاحب المساعي المشكورة والأيداي المبرورة، فيعد من أكثر المصريين في عصره انفاقاً على المشروعات الخيرية.

كان المنشاوي باشا عبقرية زراعية واقتصادية أدخل كثير من الزراعات إلى مصر، وساعده في ذلك صديقه الزعيم أحمد عرابي قائد الثورة العرابية أثناء إقامته في المنفى بجزيرة سيلان (سريلانكا حالياً)، أحضر له عرابي بذور وأشجار المانجو والموز الأحمر والأصفر المضلع وغيره من الأصناف المتعددة من الفاكهة التي شاهدها هناك وأراد عرابي انتشارها في مصر، وبعث إليه تقاوي لزراعة البن اليمني في مصر تكفي لزرع 20 فدان وبعث إليه أيضاً بأنواع الحبهان والقرنفل والمنلا فقام المنشاوي بزرعها في أرضه بقرية القرشية مركز السنطة وغيرها من الأراضي التي كان يمتلكها.

وقد جمعت علاقة قديمة بين المنشاوي باشا والزعيم أحمد عرابي، فعندما قامت الثورة العرابية في عهد الخديوي توفيق، كان المنشاوي زعيم طنطا الوطني وكانت مواقفه واضحة حيث كان من أوائل الذين ساعدوا عرابي بالنفس والمال والسلاح، وبعد الثورة العرابية ظل على العهد لصداقة عرابي ولأسرته في أثناء منفاه بجزيرة سيلان (سريلانكا حالياً) وكان راعياً لأسرة عرابي وظلت المراسلات بينه وبين عرابي لا تنقطع.

ومن أبرز المواقف الوطنية والإنسانية التي توضح جانب من جوانب شخصيته ما ورد عنه في أثناء مذبحه طنطا في عام 1882م خلال أحداث الثورة العرابية، حيث رد يد الثائرين عن الأجانب والمسيحيين واليهود المقيمين في مدينة طنطا وفي المناطق المجاورة آنذاك وآوي منهم نحو ألف فرد بقصره في القرشية وأمنهم بعد أن أصيبوا بالهلع والخوف على أرواحهم وسلامتهم وأمنهم وأعد لهم محالاً ينامون فيها فآكرم وفادتهم وطيب خاطرهم وحملهم إلى بلادهم على نفقته الخاصة بعد أن دفن موتاهم وتلطخت ثيابه بدمائهم ويقول في ذلك الشاعر:

يعم شذاها كل باد وحاضر سوام أتيحت يوم نحر لجازر كسا الارض ثوباً بالدماء الموائر حواسر عما في ضمان المآزر فيالك من أيد منيت بباتر أخي نجدة حامي الحقيقة تامر	علي يوم طنطا في الزمان تحية رأى قوم موسى والمسيح كأنهم فكشف عنهم فادح الكرب بعدما وكم قاصرات الطرف أصبحن بالعرا تمزق أيدي الظالمين جسومها يصحن بميمون النقيبة لابن
--	---

ولما انتهت الثورة العرابية كتب معتمدو الدول الأوروبية كلها إلى المنشاوي باشا يشكرونه على إنسانيته وشهامته ومنحته حكوماتهم الأوسمة والنياشين أعترافاً بفضله وجميله.

وبناء على تلك العلاقة القوية بين أحمد المنشاوي باشا والزعيم أحمد عرابي لقي المنشاوي الكثير من المضايقات ووشي به الواشون وكثر مراقبوه وكانت الجواسيس لا تفارقه أينما وجد فاضطر لترك البلاد اختيارياً لمدة خمس سنوات ، فرحل إلى الشام ثم

الأستاذة (اسطنبول حالياً) واستقر بها فترة حتى مل الإقامة هناك وأراد الهجرة إلى أوروبا فاقترح عليه السفير الفرنسي أن يذهب إلى تونس وأكد له إذا ذهب إليها سيجد راحة البال والإكرام فقبل المنشاوي وعقد العزم على الرحيل إليها واعطاه السفير خطاب توصية إلى معتمد فرنسا في تونس وأخبره أنه بعث خطاباً آخر للمعتمد للاحتفال به عند وصوله .

وقرر المنشاوي أن يسافر أولاً إلى مدينة نابولي بإيطاليا قبل أن يرحل إلى تونس، لمقابلة الخديوي إسماعيل باشا (1280هـ/ 1863م - 1296هـ/ 1879م) الذي كانت تربطه به علاقة طيبة وكان إسماعيل باشا قد استقر فترة بنابولي بعد أن أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1293هـ/ 1876م - 1327هـ/ 1909م) فرماناً بعزله في 26 يونيو 1879م وتنصيب ابنه الخديوي توفيق (1296هـ/ 1879م - 1309هـ/ 1892م)، وقابل المنشاوي باشا إسماعيل باشا بعد أن رحل من الأستاذة وعرض ما أشار به السفير الفرنسي عليه، فنصحه الخديوي إسماعيل بالابتعاد عن كل الأمور السياسية التي تضر بصالح الوطن ووصاه بوصايا أخرى نافعة.

وأثناء إقامة المنشاوي بنابولي وقبيل سفره إلى تونس وبينما كان يجلس في أحد المحال العمومية إذ برجل إيطالي كان تاجراً في الإسكندرية قبل الثورة مر به وعرفه، فسلم عليه وجلسا معاً يتحدثان وقد سأل الرجل المنشاوي باشا عن محل إقامته فوصفه له وطلب منه أن يوالي زيارته ما دام يقيم في نابلي، ولما افترقا توجه هذا الرجل إلى الجمعيات الخيرية وقال لرؤسائها :

كيف يوجد بيننا الرجل الذي حمى المسيحيين والاجانب يوم مذبحه طنطا وتلطخت ثيابه بدماء القتلى منهم الذين كان يحملهم من الشوارع وهم جثث هامة وآوى

الكثير منهم في منزلة بالقرشية وسفرهم إلى بلادهم على حسابه، ولم تعلموا بوجوده هنا ولم تحتفلوا به وتجروا له المظاهرات الودية؟ فاجتمع أعضاء هذه الجمعيات وقرورا فيما بينهم إجراء مظاهرة تقدير وتعظيم للمنشأوي باشا.

وفي اليوم الثاني استيقظ المنشأوي من منامه فوجد المئات من أعضاء هذه الجمعيات أمام منزله فنزل ورحب بهم واعتذروا له عن عدم علمهم بوجوده في نابولي ودعوه إلى مأدبة أقاموها له وأتى إليه رؤساء وأعضاء هذه الجمعيات وكثير غيرهم من أكابر القوم تصاحبهم الموسيقي وعملوا له موكباً حافلاً، وكان يوماً مشهوداً حيث غصت الشوارع بالمتفرجين وكان المنشأوي يسير في مقدمة الموكب ومن خلفه الحشود حتي وصلوا إلى محل الاحتفال حيث تليت الخطب الرنانة في مديح المنشأوي وتعداد مآثره على الأوروبيين وفي وصف المذمجة التي حدثت بطنطا.

وكان المنشأوي واقفاً علي منبر، وبين كل خطبة وأخرى يُقلد نيشاناً فاخراً وهو يذرف الدموع ويقول: (إن هذا الاحتفال لأجل عمل عملته في مصر، عادته حكومة بلادي)، ثم تناولوا الطعام بعد الخطب، وأقام المنشأوي معظماً محترماً حتى سافر إلى تونس وقوبل بكل حفاوة وترحاب واستقر بها فترة حتى عاد إلى مصر.

وكان ملازماً للعلماء والفقهاء والمفكرين، فكان مجلس المنشأوي في القرشية مجلس علم وأدب وكان يمتد إلى ما بعد نصف الليل ودائم التردد على مجلسه الأدباء والشعراء من كل صوب، ومنهم الأديب الشيخ محمد أفندي التميمي بن الشيخ أحمد التميمي مفتي الديار المصرية ومنهم خطيب الثورة العرابية الشيخ عبدالله النديم الذي كان متنكراً أثناء فراره باسم شخص يعني اسمه علي الادريسي ومكث بالقرشية في ضيافة المنشأوي باشا فترة طويلة.

وفي ليلة كان يجلس المنشاوي باشا ومعه النديم أو السيد علي الإدريسي ومحمد التميمي في مجلسه بالقرشية، وسأل المنشاوي باشا جليسيه عن أرباب الجرائد، فكان عبد الله النديم يسرع ويحيب ويسبق التميمي إلى الجواب، فقال المنشاوي باشا وما تقولان في صاحب جريدة الطائف؟ فسكت النديم أو السيد علي الإدريسي اليمنى وتكلم التميمي، وكان النديم هو صاحب جريدة الطائف، فارتاب التميمي في شأن النديم الذي أثار شكوكه ولم يقم من المجلس إلا وهو موقن بأن جليسه في هذه السنوات هو عبد الله النديم، فلما رجع التميمي إلى بيته كتب إلى النديم قائلاً:

كالبحر يبعد ساحله	يأيها الخبر الذي
نمت عليه فضائله	من كان مثله فاضلاً

وأرسل البيتين مع الخادم؛ فلما قرأهما النديم ارتاع وخشى على نفسه، فلما جن الليل وجاء محمد أفندي التميمي على عادته لقيه بالعناق، وكتب التميمي أمره إلى أن قبض على النديم في قرية الجميزة من قرى مركز السنطة بدلالة رجل من أهل القرية في 2 أكتوبر سنة 1891م.

ورغبة في حماية المنشاوي باشا انكر النديم أثناء التحقيق معه أن المنشاوي باشا على علم بشخصيته الحقيقية بل كل ما يعلمه أنه رجل يماني متمكن من علوم الدين وأنه كان منكرًا صوته وهيئته ولهجة كلامه وأن المنشاوي باشا سمع بأخباره من بسيوني بك المنشاوي والجوهري المنشاوي، وأن العقل يقضي بأنه إذا كان يعلم بأي نديم لأخفاني حفاظاً على نفسه حيث كان النديم يجتمع بالناس في المجالس وعلى الطعام من غير مبالاة، كما ذكر في التحقيقات أنه لم يمكث عنده أكثر من خمسة أشهر فقط.

وبعد تلك الواقعة بفترة رُج بالمنشاي باشا في السجن في قضية لعبت فيها السياسة دورها ومكث به فترة قصيرة وفي أثناء سجنه حدثت كارثة حيث احترقت بلدة ميت عمر في صيف عام 1902م وقد بلغ عدد المنكوبين في تلك الفاجعة حوالي خمسة آلاف منهم الأطفال الذين فقدوا عائلتهم والتجار الذين هلكت رؤوس أموالهم وأصبحوا مشردين ودعت الجمعية الخيرية الإسلامية برئاسة الأستاذ الإمام محمد عبده إلى إغاثة أهل ميت عمر وحث الأمراء والوجهاء على التبرع ونظم شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدة واستنجد فيها بأحمد باشا المنشاي قائلاً:

أيهذا السجن لا يمنع السجن	كريماً من أن يقيّل العثارا
مر بألف لهم وإن شئت زدها	وأجرهم كما أجرت النصارى

وهنا نجد أنه أشار في أبياته إلى مروءة المنشاي باشا عندما آوى الأوروبيين أثناء أحداث الثورة العربية وكان الأستاذ الإمام محمد عبده يستعين بالمنشاي باشا في إنجاز مشروعاته الاجتماعية وجمعت علاقة مودة ومحبة بين والد الإمام وأسرة المنشاي وبدأت عندما كان مطاردًا في فترة حكم عباس الأول ومكث فترة في مديرية الغربية، ونشأت علاقة قوية بين المنشاي والإمام بعد ذلك فكان الإمام دائم التردد على مجلس وقصر المنشاي بالقرشية، ويروي بسيوني بك الخطيب (ناظر وقف أحمد باشا المنشاي لاحقاً) فيقول :

(لما كان الإمام الشيخ محمد عبده يكون ضيفاً عندنا في سراي المنشاي بالقرشية ومن عادتي أن أنزل في أواخر الليل للتفتيش، فكنت اسمعه في حجرة نومه يصلي)

فكان الإمام محمد عبده من المقربين إلى المنشاوي باشا الذي كان مؤمناً بأفكاره وآرائه وتطلعاته وعندما كان لمحمد عبده فضل التفكير في إنشاء الجامعة المصرية بعد أن خاب أمله في الأزهر وأقنع المنشاوي باشا بالجامعة وسارع المنشاوي باقتراحه أن يوقف قطعة أرض من أملاكه في إحدى ضواحي القاهرة (بجهة باسوس وابو الغيط) لإنشاء الجامعة.

وشرع المنشاوي في إعداد العدة وبحث مع الأستاذ محمد عبده ما تستلزمه الجامعة من نفقات وفي كيفية استحضار المعلمين وأقترح أن يشتري للمعلمين مركباً بخارياً ينقلهم إلى القاهرة كل يوم ، كما أنه عزم على شراء قصر في شبرا لأحد الأمراء لينشأ الجامعة فيه مؤقتاً إلى أن يتم البناء ولكن لم يتفقا على السعر وفي أثناء التخطيط لإنشاء الجامعة توفي الإمام محمد عبده ولم يتوان المنشاوي باشا في إنجاز المهمة بعد وفاة صديقه براً بذكراه.

وفي شهر شوال 1322هـ/ 1905 م كتب إلى مجلس النظار كتاباً يطلب فيه أن تبيعه الحكومة عشرة آلاف فدان ليجعلها وقفاً على الجامعة التي أراد انشاؤها في ضواحي القاهرة ويوقع عقد الوقفية في الوقت الذي وقعت فيه المالية عقد البيع ولكن شاءت الأقدار أن وفاته المنية في نفس الاسبوع، فتوقف المشروع وكانت فكرة الجامعة هي شغله الشاغل في أواخر حياته.

ومن أبرز العلماء والشيوخ الذين كان يمتلكون قدراً كبيراً في قلب المنشاوي باشا الشيخ السيد محمد عبدالرحيم النشابى الذي أصبح شيخاً على مسجد ومدفن وتكليه ومعهد المنشاوي فيما بعد .

أعمال أحمد باشا المنشاوي الخيرية :

أوقف أحمد باشا المنشاوي سنة 1903م وقف يبلغ مساحته 4645 فداناً من الأراضي الزراعية بمحافظة الغربية والقليوبية بالإضافة إلى العديد من العقارات المبنية لصالح وجوه البر والخير فقد كان رجلاً محباً لفعل الخير عرف بكرمه المعهود واهتمامه بالتنمية والتعليم والصحة ومجالات أخرى كما أوقف أموال لتصرف في إعانة الفقراء وغير القادرين مادياً كما خصص من ريع وقفه للإنفاق على المؤسسات الخيرية التي أنشأت.

ومن مظاهر اهتمامه بمجال الصحة أنشأ مستشفى المنشاوي بطنطا وخصص له 2000 جنية سنوياً (حسب مستويات أسعار 1903م) تصرف فيما يلزم المستشفى من الأدوية واللوازم الطبية والمفروشات والغطاء والمآكل والشرب وماهية الخدمة والأطباء، مداواة المرضى من فقراء المسلمين الذين لا كسب لهم ، ولا يقدرّون على معالجة أنفسهم، وبمداواة غيرهم من المرضى الأغنياء بمصاريف يؤدونها أجراً للطبيب وثنماً للدواء وأشترط أن تكون إدارتها من بعده عن طريق مجلس يؤلفه من أربع شخصيات أحدهم مدير الصحة بالغربية والثاني القاضي الشرعي بالمديرية والثالث ناظر الوقف المذكور والرابع شيخ جامع المنشاوي، ثم من بعد كل منهم لمن يلي وظيفته.

ونظراً لأهمية مستشفى المنشاوي بطنطا باعتباره أكبر مؤسسة علاجية بوسط الدلتا حتى منتصف القرن المنصرم تقريباً، فقد أوصت لجنة الأوقاف بمجلس النواب ببذل المزيد من العناية به واستصدرت وزارة الأوقاف في سنة 1948م إذناً من المحكمة الشرعية بوصفها صاحبة الولاية العامة على الأوقاف بزيادة المخصص للمستشفى من ريع وقف المنشاوي من 2000 جنية إلى 6500 جنية سنوياً، وعندما تسلمته وزارة

الصحة بعد الثورة كانت مخصصاته من الربيع وصلت 11000 جنية سنوياً، ولاتزال المستشفى تحمل اسمه إلى الآن.

كما خصص المنشاوي باشا حصة أخرى من ريع وقفه لتصرف على سبع مستشفيات أجنبية بمصر، دعماً منه لما كانت تقوم به في معالجة المرضى وحتى يكون لأهل البلد إسهاماً في جهودها وهذه المستشفيات هي الألماني والروسي والايطالي واليوناني والفرنساوي والنمساوي والإنجليزي وجعل لكل منها خمسين جنيهاً مصرياً سنوياً.

وفي مجال التعليم أنشأ المنشاوي باشا بمفرده حوالي 30 كتاباً بالقري والمدن التي فيها أطيانه وعقاراته الموقوفة وكان عددها 33 وخصص لكل كتاب منها ريع من الوقف تكفي للإنفاق عليه وأشترط أن يرتب لكل كتاب معلمون وحفاظ للقرآن الكريم يعلمون الأولاد القرآن الكريم والخط العربي ومبادئ الحساب والعقائد الدينية لا غير، وكانت مواعيد العمل فيها من شروق كل يوم إلى عصره إلا أوقات الأجازات كأيام الجمع والأعياد والمواسم الشرعية.

كما أشترط أن تعطى مكافأة قدرها خمسة قروش لمن يحفظ جزءاً من القرآن حفظاً لائقاً ولن يحفظ جزئيين عشرة قروش، وهكذا كلما حفظ جزءاً أخذ مبلغاً قدرة خمسة قروش إلى أن يحفظه جميعاً ويعطى لكل متعلم في كل ستة أشهر مكافأة، ومن حفظ القرآن وجوده وأراد الانتظام في عقد طلبة أهل العلم الشريف بمسجد المنشاوي، كتب اسمه بدفتر الطلبة وأعطى له على الفور إعانة على طلب العلم الشريف.

كان المنشاوي حريصاً على توفير كل ما يلزم لاستمرار التعليم في الكتاتيب وتوفير كل الاحتياجات فأمر أن يصرف لكل مكتب مقدار من الدراهم لشراء ما يلزم لفرش الكتاتيب وما يلزم للمتعلمين الفقراء من المصاحف والالواح وغير ذلك من اللوازم، ويجعل لكل كُتابٍ مرحاض وحنفية للوضوء وإناء يوضع فيه الماء لشرب المعلمين والمتعلمين، وخادم ليقوم بنظافة المكتب وفرشه وفتحته وغلقه.

كما أنشأ المنشاوي باشا معهداً أزهرياً لا يزال يحمل اسمه حتى الآن وهو معهد المنشاوي بمدينة طنطا، وقد خصص له من ريع أوقافه ما يفي بحاجاته وباستمرار التعليم فيه، فخصص له من ريع أوقافه 4550 جنية (حسب مستويات أسعار 1903)، كما خصص مبالغ نقدية وجرايات سنوية من ريع أوقافه لطلبة العلم والمدرسين بثلاثة معاهد أخرى هي المعهد الأحمدى بطنطا وخصص له مبلغ 300 جنية سنوياً، ومعهد دسوق وخصص له بمبلغ 250 جنية سنوياً، معهد دمياط وخصص له مبلغ 250 جنية سنوياً.

كذلك أنشأ المنشاوي باشا مدرسة تعليم البنين والبنات بطنطا وقد جعلها تابعة للجمعية الخيرية الإسلامية، وحدد لها برنامجاً دراسياً للتعليم يتضمن تعليم الفنون والصناعات اليدوية، وما يرشد لاكتساب مكارم الأخلاق وقد خصص لها ما يفي باحتياجاتها، ولم تكن مدرسة طنطا الوحيدة التي أنشأها تشجيعاً منه على العلم والتعليم ولكن أنشأ مدرسة المنشاوي الصناعية بمركز السنطة بالغربية لتعليم الناس الصناعة الشرقية والغربية، وإيماناً منه بضرورة تعليم المرأة المصرية وتقديراً لدورها المهم في بناء المجتمع أنشأ مدرسة البنات بالزقازيق، كما أنشأ مدرسة جمعية الشبالين بجمرك الإسكندرية لتعليم أبناء العاملين في الجمرك.

وأمر المنشاوي باشا بتشيد مسجده الشهير بشارع البحر في مدينة طنطا، فكان الشروع في البناء عام (1326هـ / 1908م)، وتام العمارة عام (1328هـ / 1909م) في عهد خديوي مصر عباس حلمي الثاني، وأشرف على عمارته نظار وقفه بسيوني بك الخطيب والسيدة فاطمة هانم حرمه وقام بوضع الرسومات الهندسية وأشرف على البناء المهندس المعماري أحمد بك عزي كما هو مسجل على القبة والنقش التأسيسي بالمسجد .

كما أوقف ماله على مسجده الشهير بطنطا الذي أصبح ثاني أكبر مساجد المدينة بعد مسجد السيد البدوي وخصص مبالغ تصرف على مساجد أخرى أنشأها منها مساجده في كل من القرشية، وناحية بلكيم بالسنترة، وناحية بقلولة بالسنترة وناحية تلبنت، وناحية السنطرة، وناحية المنشاة الجديدة.

كما خصص مبالغ من ريع الوقف للاهتمام بمساجد الغربية مثل مسجد عبدالسلام القليبي بناحية قليب أبيار، ومسجد محمد قمر الدولة بناحية نفياء، ومسجد عبدالله بن الحارث بصفت تراب، ومسجد فخر الدين بناحية طوخ مزيد، ومساجد محمد مسلم وسالم المسلمي والخطيب بميت يزيد، ومساجد محمد المنشاوي ونصر وأبو طالب بالقرشية، ومسجد عثمان بمنية طوخ.

كما أنشأ تكيته بطنطا وجعلها للعواجز واليتامى لتكون منازل ومساكن لهم وللسيارة والمارة وأبناء السبيل من المسلمين، والذين يأتون من البلاد القاصية مثل بلاد الترك والمغرب لأداء فريضة الحج ولا يستطيعون السفر من مصر إلى الحجاز وإلى الأوطان بعد الإياب من الحج وقد بلغ نصيب التكية من ريع الوقف 1500 جنيهاً قبيل تسليم أطيان الوقف للإصلاح الزراعي سنة 1962م، وكان يصرف في ثمن طعام

وشراب وفواكه وملبوس ومفروش وغطاء وآلات وأكل وشرب وطبخ وغير ذلك مما لا غنى عنه ويحتاج إليه من بالتكية.

كما خصص المنشاوي باشا مبلغاً آخر يصرف على إنشاء السكة الحديدية الحجازية والتي شرعت الدولة العثمانية في إنشائها لربط دمشق بالمدينة بالمنورة وبالتالي تسهيل مسيرة الحج من الشام إلى مكة وخدمة الحجاج المسلمين وربط أقاليم الدولة العثمانية بعضها ببعض كما أشرط أن يصرف من ريع الوقف كل عام مبلغ قدره 2000 جنية للفقراء واليتامى والأرامل من عائلات من يتوفون من عساكر الدولة العثمانية العلية في الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى، كما خصص مبلغ 732 جنيهاً من ريع وقفه كل عام يصرف على الواردين والمتريدين بسرايا المنشاوي بالقرشية أينما كانوا خصوصاً أبناء السبيل وعلى الخصوص منهم من كان من أهل الحرمين الشريفين.

توفي أحمد باشا المنشاوي في مساء يوم الاثنين 11 شوال سنة 1322هـ/1905م، ودفن بالقبة الملحقة بمسجده بشارع البحر بمدينة طنطا ونقش على قبة ضريحه كتابات منها:

هذا قبر صاحب المساعي المشكورة والأعمار المبرورة
المحسن الكبير... المرحوم... أحمد باشا المنشاوي
المتوفى مساء الاثنين الحادي عشر شوال سنة 1322 هـ
